

مقال (القيم القرآنية في مواجهة العزلة الاجتماعية وبناء الروابط الإنسانية)

م . د . عمر عبدالكريم إسماعيل

ديوان الوقف السني / دائرة اوقاف الصورة

Researcher : Omer Abdulkareem Ismael Hameed

lybdslkrym01@gmail.com

ملخص الدراسة:

يتناول هذا البحث القيم القرآنية التي تحارب العزلة بشتى صورها (النفسية، والفكرية، والاجتماعية)، مبيناً أثر التفسير كأصل للعلوم الشرعية في استنباط هذه القيم وتوظيفها. كما يتوخى البحث اليسر والدقة في عرض سبل بناء الروابط الإنسانية وفق المنهج الإلهي المتدرج. إن القرآن الكريم ليس مجرد نصوص تشريعية جامدة أو طقوس تعبدية معزولة عن الواقع، بل هو منظومة قيمية حية ومحركة تعيد صياغة "الذات" لإنسانية لتكون قادرة ومؤهلة على "التعارف" الإيجابي مع "الآخر". ومن خلال هذا البحث، سنستكشف كيف عالج الوحي الإلهي ظاهرة العزلة من جذورها، وكيف بنى صروح الروابط من خلال علومه المتنوعة التي استوعبت العرب والأعاجم، والأبيض والأسود، في بوتقة حضارية وثقافية واحدة أضاعت جنبات التاريخ.

Abstract:

This study examines the Qur'anic values that confront isolation in its various forms—psychological, intellectual, and social—while highlighting the role of Qur'anic exegesis, as a foundational discipline of the Islamic sciences, in deriving and applying these values. The research seeks clarity and precision in presenting the means of constructing human bonds in accordance with the divine, gradual methodology.

The Qur'an is not merely a collection of rigid legal injunctions or devotional rituals detached from lived reality; rather, it is a dynamic and vital value-based system that reshapes the human self, enabling it to engage in positive mutual recognition and interaction with the other. Through this study, we explore how divine revelation addressed the phenomenon of isolation at its roots and how it established strong structures of human connectedness through its diverse sciences—sciences that embraced Arabs and non-Arabs, the white and the black—within a unified civilizational and cultural framework that illuminated the course of history.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم. القرآن الكريم كتاب الله الخالد، أنزله ليكون للناس دستور رحمة، ومشكاة علم، ومنهاج دين وحياء عزيزة سعيدة. ومن أسمى مقاصد هذا الكتاب العظيم تنظيم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وتخليصه من وحشة العزلة، وضيق الانطواء، وسجون الفردية، إلى سعة التراحم، والترابط، والتعاون المثمر. لقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم هذه التعاليم وعملوا بها وحملوها على أكمل وجه، فأسسوا مجتمعاً كان فيه الفرد لبنة أساسية في بنيان مرصوص، لا يعيش لنفسه ولمصالحه الضيقة، بل يزوب في كيان أمته عابداً وعملاً وبنائياً للحضارة. وفي عصرنا الحالي، تتجلى الحاجة الماسة لاستدعاء هذه القيم أكثر من أي وقت مضى. فمع تباعد الأرواح وتناهي القلوب رغم تقارب الأبدان وتلاشي المسافات الجغرافية، برزت نتيجة ثورة الاتصالات والتكنولوجيا ما يمكن تسميته بـ "العزلة الرقمية" و"الفردانية المفرطة". لقد خلقت هذه الحالة انكفاءً ذاتياً، حيث أصبح الإنسان يعيش وسط جموع غفيرة لكنه يعاني من اغتراب نفسي واجتماعي عميق. هنا، يحتاج الناس بشدة للعودة إلى الفهم الدقيق لآيات القرآن الكريم ليقوموا بواجباتهم الاجتماعية على أحسن وجه، مستلهمين من توجيهاته سبل استعادة الدفاء الإنساني والتماسك المجتمعي الذي كاد أن يندثر في زحام الماديات.

العلم والمعرفة: إدراك الحقائق كأساس للمسؤولية الاجتماعية يُطلق العلم في السياق القرآني واللغوي على المعرفة اليقينية وإدراك الأشياء على حقائقها الثابتة^١، وهو الضد المباشر للجهل الذي يورث التخبط، وسوء الظن، والفرقة بين الناس. العلم في المنظور الإسلامي ليس ترفاً ذهنياً أو مجرد تكديس للمعلومات، بل هو "أصل الدين" ومحركه. فلا خير في عزلة تتبع عن جهل بأحكام الشريعة أو تهرب من التكاليف، بل إن العبادة في العزلة لا تصح إلا بعلم يقي المرء من الانحراف والتطرف الفكري. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^٢.

إن إدراك الحقائق الاجتماعية كجزء لا يتجزأ من العلم الشرعي يفرض على الفرد مسؤولية جسيمة تجاه الجماعة؛ فالعلم بالقرآن ومقاصده هو الذي يخرج الإنسان من ضيق الجهل بالحقوق والأنانية، إلى سعة المعرفة بالواجبات الاجتماعية والتكافل. المعرفة الحقيقية تدفع صاحبها للنزول إلى الميدان ومخالطة الناس والصبر على أذاهم، بدلاً من التوقع في أبراج عاجية.^٣

مفهوم العزلة: بين الخلوة الإيجابية والانقطاع السلبي المذموم

تضرب مادة (عزل) في اللغة جذورها في دلالات التنحية، والإبعاد، والإمالة، حيث يقال "عزل الإنسان الشيء" ^٤ إذا نحاه في جانب وأبعده عن مساره. والعزلة في الاصطلاح هي انقطاع الفرد عن التفاعل الاجتماعي والمشاركة الإنسانية.^٥

وقد عالج القرآن الكريم هذا المفهوم بدقة وتفصيل، مفرقاً بين نوعين من العزلة. فالنوع الأول قد يكون "اعتزلاً" محموداً (أو خلوة)، وذلك إذا كان الدافع هو الفرار من الفتن المهلكة، أو حماية العقيدة من الشرك، أو لتزكية النفس ومحاسبتها، كما في قصة أصحاب الكهف ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُغْبُؤُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾^٦، وكما في خلوة النبي ﷺ في غار حراء قبل البعثة والتي كانت إعداداً لمواجهة المجتمع.^٧

بيد أن العزلة التي يحاربها القرآن ويرفضها هي "المعزالية" التي يذمها العرب^٨، وهي الانطواء المرضي، وتتحى الشخص عن محيطه، وتهربه من مجرى حياته الطبيعي وتكليفه الشرعي بإعمار الأرض. لقد وجه القرآن العقول للتدبر في أحوال الأمم السابقة والاعتبار بها؛ حيث كانت العزلة الفكرية والانغلاق عن سماع هدي الأنبياء سبباً رئيسياً في هلاك مجتمعات بأكملها. إن العزلة الاجتماعية في العصر الحديث تمثل انقطاعاً خطيراً عن مبدأ "التعارف" الإنساني، والذي خلقت من أجله الشعوب والقبائل، مما يؤدي إلى تآكل النسيج المجتمعي وازدياد أمراض الاكتئاب والانتحار.^٩

الروابط الإنسانية: وحدة الأصل، وتفعيل التقوى معياراً للتعايش

الروابط الإنسانية هي مجموع الصلات، والمشاعر، والمصالح المشتركة التي تجمع البشر على أساس الفطرة السليمة، ثم يأتي الإسلام ليطورها ويهذبها لتصبح قائمة على التقوى، والعدل، والتعاون على البر. لقد أثبتت آيات القرآن بوضوح لا لبس فيه أن البشرية جمعاء تتحدر من أسرة واحدة وجذر مشترك ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾^{١٠}. هذا الإيمان الجازم بوحدة الأصل الإنساني هو السبيل الوحيد لإلغاء الفوارق القسرية والمصطنعة كاللون، والقومية، والعرق، والطبقة الاجتماعية، مما يمهد لبناء روابط متينة ومستدامة لا تتفصم عراها عند أول اختبار.

أثبت القرآن أن المسلمين أمة واحدة مترابطة، لا فضل لأحد فيها على آخر ولا سيادة لعرق على عرق إلا بالعمل الصالح والتقوى، وهو ما يجعل الروابط في الإسلام روابط "ديناميكية" حية قائمة على البذل، والعطاء، والفاعلية الإيجابية، لا على الانغلاق العرقي أو التعصب القبلي الأعمى. إن الرابطة الإنسانية في المنظور القرآني تتجاوز مجرد تبادل المصالح المادية البحتة لتصل إلى آفاق "المودة والرحمة" وهي صلات روحية وجدانية تجعل المجتمع كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

المبحث الثاني: نشأة القيم الاجتماعية وتطورها في الفكر القرآني

الفهم العربي والبيان القرآني: التأسيس الأول للروابط المتينة

لقد كان فهم العرب الأوائل للقرآن فهماً دقيقاً، وعميقاً، وعالياً؛ لأنهم أهل لغة وبيان، وأدركوا فور سماعهم للآيات أن هذا القرآن جاء بثورة قيمية شاملة ليهدم قيم الجاهلية المتجذرة القائمة على "العصبية" والقبلية والثأر، ويبني مكانها قيم "الأمة" الواحدة ذات الرسالة العالمية. منذ العهد المكي ثم المدني للنبي ﷺ، تركز الفهم بأن القرآن دين دعوة، وهداية، وعلم، وعمل لجميع الخلق، وليس مجرد طقوس فردية تُمارس في الصوامع. ^{١١} فكانت المساجد، والكتاتيب، واللقاءات النبوية، بل وحتى الأسواق، هي الميادين الأولى التي صهرت الأفراد في بوتقة الجماعة. وقد تجلى ذلك بأعظم صورته في "وثيقة المدينة" التي نظمت العلاقات بين مختلف الطوائف، وفي حدث "المؤاخاة" بين المهاجرين والأنصار، والذي يُعد أروع تطبيق عملي للتغلب على عزلة التهجير وبناء رابطة أقوى من رابطة الدم. التدرج في بناء المجتمع: من الحفاظ في الصدور إلى بناء

مؤسسات الدولة بدأ تطور هذه القيم يأخذ شكلاً مؤسسياً منذ عهد الخلفاء الراشدين، حيث لم يعد القرآن يُحفظ فقط في الصدور بغرض التعبد المحض، بل أصبح الفهم والتفسير هو "العلم المقصود بنفسه" لغاية أسمى وهي فهم كيفية إدارة وبناء الدولة والمجتمع. ففي عهد أبي بكر الصديق، كان التحدي الوجودي هو منع تفكك الروابط السياسية والاجتماعية (فيما عُرف بحركة الردة التي أرادت فصل الصلاة عن الزكاة)^{١٢}، فاستُخدم القرآن كمرجعية قاطعة لوحدة الأمة وترابط أركانها. وفي عهد عمر بن الخطاب، اتسعت رقعة الدولة ودائرة النخبة الفكرية، وصار التفسير، والاجتهاد، والشورى هي القاعدة الصلبة التي تُبنى عليها الدواوين وتنظم بها شؤون المال والولايات والقضاء^{١٣}. إن التفسير في هذه المرحلة المتقدمة كان عبارة عن عملية "تنزيل" مستمر ومواكب للنص على الواقع المعاش والمتغير. حيث أدرك الصحابة بيقين أن "الحياة العزيزة" التي وعد بها القرآن لا تتحقق بمجرد التمني، بل بمجتمع متماسك يحكمه العدل، وتُصان فيه الحقوق، وتُفعل فيه الشورى. وكان هذا التطور نابغاً من وعي ديني عميق مكن السلطة الإسلامية حينذاك من استيعاب الشعوب الجديدة والقضاء على أي محاولات للتجزئة والتفتت. دور القرآن في دمج الأعاجم وتوسيع آفاق الرابطة الإنسانية بعد اتساع الفتوحات ودخول الأمم في دين الله أفواجاً من فرس، وروم، وقبط، وأمازيغ وغيرهم، كان فهم القرآن هو الهم الأول والشاغل الأكبر لتعلم كيفية التعايش والاندماج السلس في المجتمع الإسلامي الجديد المترامي الأطراف. لم يكن القرآن ولا لغته عائقاً أمام هؤلاء، بل كان على العكس تماماً "بوابة العبور" الثقافية والروحية للحصول على المواطنة الكاملة في الدولة الإسلامية. إن الإيمان العميق بأن العربية هي لغة الوحي الخاتم جعل الأعاجم يقبلون عليها بشغف منقطع النظير، بل وبرعوا فيها وأسسوا لعلومها كالنحو والصرف، مما خلق لغة تواصل مشتركة أدابت الفوارق العرقية وسهلت الاندماج الاجتماعي بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الإمبراطوريات السابقة. اعتمد القرآن مبدأ "التكافؤ الإنساني" التام؛ فالعجمي والأسود والأحمر كلهم سواء أمام قدسية النص وعدالة أحكامه (مثل صهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وبلال الحبشي)^{١٤} الذين أصبحوا رموزاً وقادة. هذا الاستيعاب جعل هؤلاء يشعرون بالانتماء العميق، وساهموا بشكل رئيسي في بناء الحضارة الإسلامية المشرقة. لقد تحول القرآن إلى أداة لـ "الحفاظ على اللغة وانتشارها"، مما منع نشوء جزر مجتمعية معزولة (غيتوهات) داخل المجتمع الإسلامي، ووحد القلوب والعقول على وجهة حضارية واحدة.

الشمولية القرآنية وصيانة المجتمع من الفتنة والتشطي

احتوى القرآن الكريم بين دفتيه على علوم العقائد، والأحكام، والقصص، والمواعظ، والأمثال التي تهدف جميعها في نسيج متناغم إلى صيانة اللسان، والعقل، والمجتمع من الخطأ والفرقة والانهايار. هذه الشمولية العظيمة تعني أن القرآن لم يترك جانباً من جوانب الحياة الاجتماعية صغيراً كان أو كبيراً إلا ووضع له ضابطاً دقيقاً يحميه:

- في السلوك الفردي: ركز على تربية النفس وتزكيتها على الزهد، والصدق، والأمانة، والتواضع، وصيانة اللسان عن الآفات المدمرة للروابط كالعنيفة، والنميمة، والسخرية، وسوء الظن ﴿هَمَّازٍ مَسَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾^{١٥}، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾^{١٦}.
- في السلوك الأسري: نظم بدقة متناهية حقوق النساء، والأطفال، واليتامى، وحقوق الوالدين ورعايتهما كأهم نواة للمجتمع ﴿وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾^{١٧}، ووضع قواعد المواريث والنفقة لضمان عدم تفكك الأسرة اقتصادياً.
- في السلوك الجمعي: عمل على ترسيخ مبادئ الشورى، والعدالة الاجتماعية، والتكافل، والتعاون على البر والتقوى، وإغاثة الملهوف. إن هذه المنظومة القيمية المتكاملة تعمل كـ "درع واقٍ" وحسن منيع يمنع المجتمع من السقوط في براثن العزلة، أو الأنانية، أو النزاعات المدمرة والحروب الأهلية. وذلك من خلال بناء "شاكلة" إنسانية صالحة تقوم على أولوية الإصلاح والتغيير النفسي الداخلي أولاً كمقدمة لأي تغيير مجتمعي ناجح ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾^{١٨}.

المبحث الثالث: أهم العلوم القرآنية المعينة على بناء الروابط وإنهائها للعزلة

علم التفسير: الركيزة الأساسية والبوصلة للفهم الجماعي

يُجمع العلماء على أن علم التفسير هو أهم علوم القرآن وأشرفها على الإطلاق، فبه تحصل الفائدة الحقيقية، والفهم السديد لمراد كلام الله، مما يؤسس للعمل الصالح الجماعي والممنهج. التفسير هو "الأصل الأول" الذي ترجع إليه وتتفرع منه كافة القيم والعلوم الشرعية؛ فبدون كشف معاني الوحي وتجلياتها، يظل الناس في "عزلة فكرية" تامة عن مراد الله، وتصبح قراءتهم قراءة آية خالية من الروح. إن تدبر القرآن المعتمد على أصول التفسير الصحيحة يمنع "توجيه الأقوال" توجيهاً خاطئاً ومنحرفاً قد يسبب الفرقة، والتعصب، ونشوء الفرق الضالة التي تمزق المجتمع.^{١٩}

من خلال سبر أغوار التفسير، استنبط العلماء "المقاصد الكبرى" التي تُبنى عليها الأمة، مثل مقصد "بناء الأمة الشهيذة على الناس" ومقصد "الدعوة إلى عالم إنساني متعاون ومسالمة". فال تفسير بمدارسه المتنوعة يخرج النص من حيز "التلاوة الفردية المحضة" ليضعه في حيز "التوجيه المجتمعي الشامل"، مما يجعل الأفراد يتحركون بوعي مشترك ووجدان واحد نحو هدف تنموي وحضاري واحد، متخذين من سورة كـ "الحجرات" (التي تُسمى سورة الأخلاق والآداب الاجتماعية) دستوراً عملياً للتعامل.^{٢٠}

علم أحكام القرآن (الفقه الاجتماعي): تنظيم وضبط شبكة العلاقات

يبحث هذا العلم الجليل في الأحكام الفقهية والعملية المستنبطة مباشرة من آيات القرآن والتي تنظم علاقات الناس، وتحفظ حقوقهم، وتمنع تغول بعضهم على بعض. وقد ألفت فيه أئمة كبار كالشافعي، والجصاص، وابن العربي، الذين تجاوزوا النظرة الفردية للحكم ليضعوا القواعد الكلية لتنظيم استقرار المجتمع ككل.

● الإمام الشافعي: ركز في تفصيله لأحكام القرآن على الفرق الجوهرية والأثر الاجتماعي بين الحلال والحرام في بناء الروابط؛ فاعتبر "النكاح" هو الأصل الطاهر لبناء مجتمع سليم متصل بالنسب والصهر والألفة، بينما حارب ورفض أن يكون "الزنا" أو العلاقات غير الشرعية سبباً في بناء أي رابطة إنسانية أو قانونية، حمايةً لنظام الأسرة والمجتمع من التحلل، واختلاط الأنساب، والضياع.^{٢١}

● الإمام الجصاص: في سفره القيم "أحكام القرآن"، توسع في استنباط وتحليل الأحكام التي تضمن حقوق الفئات الأضعف كالأرامل، واليتامى، والمساكين، والمطلقات. ونظم قضايا النفقة والولاية بشكل مفصل، مؤكداً أن "العدل" وتأمين الحاجات الأساسية هو الركيزة التي تمنع شعور هذه الأفراد بالعزلة، أو التهميش، أو النقمة على المجتمع.^{٢٢}

● ابن العربي: عُني بشكل خاص ببيان "المقاصد التحسينية والحاجية" في المعاملات المالية والاجتماعية، كالبيع، والإجارة، والقروض، مما يجعل الروابط الإنسانية في السوق والمجتمع تتسم بالترحم، والشفافية، والتكافل (كالصدقات والوقف)، ولا تعتمد فقط على مجرد الإلزام القانوني الجامد والخالي من الروح.^{٢٣}

علم آداب التلاوة والتجويد: توحيد اللسان، وجمع القلوب، وكسر حواجز اللغة

قد يُظن للوهلة الأولى أن علم التجويد هو علم هندسي وصوتي محض لا علاقة له بالمجتمع، لكنه في الحقيقة والواقع "أداة اجتماعية وتربوية" كبرى؛ فهو من جهة يصون الألسنة عن الخطأ والزلل في كلام الله، ومن جهة أخرى يجمع القلوب على وتيرة صوتية، وإيقاع، ولغة واحدة. إن التزام مئات الملايين من المسلمين (عرباً وأعجماً، في آسيا وأفريقيا وأوروبا) بقواعد ومخارج التجويد ذاتها يخلق "هوية صوتية ولغوية" موحدة عالمياً، تكسر بشدة حواجز العزلة اللسانية والقومية، وتجعل من تلاوة القرآن لغة عالمية موحدة.^{٢٤}

أكد الدكتور غانم قدوري الحمد في أبحاثه الرائدة أن علم التجويد هو "علم صوتي بامتياز" حفظ الأداء الصحيح للغة العربية الدقيقة عبر القرون الطويلة والتغيرات السياسية، مما سمح للأجيال المتعاقبة بالتواصل مع النص الأصلي ومع بعضها البعض ببسر وسهولة وتناغم. إن إتقان التجويد هو "حلية التلاوة وزينة الأداء" التي تجعل الاستماع للقرآن، سواء في المساجد أو المحافل، تجربة جمعية روحية تذيب الفوارق الفردية وتشعر المسلم بأنه جزء من كيان عظيم.^{٢٥}

علم القصص القرآنية: استخلاص العبر، وفهم السنن الاجتماعية والتاريخية

يهدف علم القصص القرآنية إلى استخراج العبر والقوانين الثابتة من أحوال الأمم السابقة؛ كيف بُنيت حضاراتها وازدهرت بفضل تماسكها وعدلها، وكيف دُمّرت وبادت حين انقطعت روابطها الإنسانية، وطغى فيها الفساد، واستعلت فيها الفردية والأنانية. القصص القرآني قطعاً ليس للتسلية أو السرد التاريخي المجرد، بل هو "محور تربوي ومنهج تحليلي" يشغل مساحة تقارب ثلث القرآن لتقرير أهداف الهداية وبناء الوعي المجتمعي. من خلال تتبع قصص الأنبياء وأقوامهم، يتعلم المجتمع المسلم "سنة التدافع" (الصراع بين الحق والباطل) و"سنة التداول" ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدُوتُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^{٢٦}، مما يمنح اليأس، والانكسار، والعزلة النفسية وقت الأزمات والهزائم. كما نرى في قصة يوسف عليه السلام أسمى معاني التسامح وإعادة بناء الروابط الأسرية الممزقة، وفي قصة موسى والخضر درساً في التواصل الاجتماعي وتبادل المعرفة. يرى علماء كبار كالزركشي والسيوطي أن القصص تساهم في إبراز "الوحدة الموضوعية" للسور، حيث يُربط كل مشهد قصصي بالهدف العام للسورة، مما يعزز فكرة "الكل المتماسك" والمنسجم، سواء في النص القرآني ذاته أو في بنية المجتمع الذي يمثله ويمثل له.^{٢٧}

المبحث الرابع: اتجاهات التدوين الإسلامي في حفظ قيم التعايش الإنساني

الاتجاه الأول: استقلال القيم بالبحث والتأليف (كتب الأدب والحقوق)

اتجهت المدرسة التدوينية الإسلامية في هذا الجانب العملي إلى إفراد واستقلال كل قيمة ببحث أو كتاب خاص، بهدف استيعاب تفاصيلها، وتطبيقاتها العملية في حياة الناس. ونجد هذا التوجه الثري واضحاً في كتب "الأدب المفرد" و"حقوق العباد" المستنبطة روحاً ونصاً من القرآن الكريم.

- كتب أحكام القرآن: مثل مؤلفات الإمام الشافعي، والكرخي، وأبو بكر الجصاص، وهي موسوعات ركزت بشدة على الجانب التشريعي والعملي المنظم للعلاقات اليومية والتعاملات المدنية.
 - كتب مكارم الأخلاق والآداب: وهي المؤلفات التي استنبطت من آيات "البر" و"القسط" و"الإحسان" منظومة سلوكية متكاملة للتعامل مع الآخر، سواء كان قريباً، أو جاراً، أو غريباً، لتكون بمثابة دليل عملي للمسلم يمنعه من الانعزال.
 - التدوين المقاصدي (فلسفة التشريع): مثل كتاب "الموافقات" العظيم للإمام الشاطبي، و"قواعد الأحكام في مصالح الأنام" لسلطان العلماء ابن عبد السلام. هذه الكتب العميقة أصلت لمبدأ "حفظ الضروريات الخمس" (الدين، النفس، العقل، النسل، والمال)، مبرهنة على أنه لا يمكن أن تقوم حياة اجتماعية مستقرة وخالية من العزلة والاضطراب بدون صيانة هذه الضروريات للجميع.
- الاتجاه الثاني: كتب علوم القرآن الشاملة والموسوعية (كالإتقان والبرهان)
- هذا الاتجاه يقدم كتباً جامعة وموسوعية تقدم خلاصة وافية لجميع علوم القرآن، وتبرز فيها الجوانب الأخلاقية، والاجتماعية، والنفسية كجزء لا يتجزأ من بنية الإعجاز القرآني الخالد. ويُعد كتابا "الإتقان" للسيوطي و"البرهان" للزرکشي قمة هذا التوجه العلمي المنظم.
- كتاب البرهان للزرکشي: تميز هذا السفر العظيم بتحرير الآراء بدقة وترتيب الأنواع العلمية بترتيب منطقي متميز. وقد أعطى مساحة وافرة لـ "علم المناسبات" (وهو العلم الذي يدرس أسرار الربط بين الآيات والسور)، وهذا الترابط النصي المذهل هو في حقيقته انعكاس لفلسفة "الترابط البشري والتآلف" التي يدعو إليها القرآن بقوة في بناء أركان المجتمع.
 - كتاب الإتقان للسيوطي: يُعد من أوسع وأشمل ما صنف في علوم القرآن. وقد اهتم فيه الإمام السيوطي بمباحث مثل "طبقات المفسرين" و"آداب التلاوة وشروطها"، ميسراً بذلك سبل البحث المعمق لمن يريد استنباط القيم الاجتماعية وتتبع تطورها. كما عالج بشمولية قضايا "إعجاز القرآن"، مؤكداً أن الإعجاز لا يقف عند حد البلاغة والبيان، بل يتعداه ليشمل الإعجاز التشريعي، والاجتماعي، والتربوي الذي يبني أمة متماسكة تتحدى الفناء.

نماذج متميزة وتطبيقية: "التسهيل" لابن جزري و"المناهل" للزرقاني

يُعد كتاب "التسهيل لعلوم التنزيل" لابن جزري الكلبي الأندلسي من أنفس وأدق كتب التفسير التي نجحت في الجمع بين الاختصار غير المخل والدقة المتناهية في استنباط الفوائد والترجيحات. لقد جاء هذا الكتاب في بيئة أندلسية كانت بأمس الحاجة للتماسك. هدف ابن جزري من كتابه إلى "إيضاح المشكلات" وتصفية الآراء، مما يوفر للمجتمع مرجعية واضحة وعملية تمنع التخبط القيمي والانقسام المذهبي^{٢٨}. كما عني ابن جزري بشرح "مسائل العقيدة المرتبطة بالسلوك" التي تضبط انفعالات الفرد وعلاقته بمحيطه بشكل متوازن.

أما كتاب "مناهل العرفان في علوم القرآن" للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، فقد جاء في العصر الحديث (القرن العشرين) ليقدم علوم القرآن بأسلوب عصري رصين يواجه التحديات والشبهات المعاصرة. وقد أكد الزرقاني بشدة على شمولية القرآن ومواكبته لكل عصر، وقدرته الفريدة على انتشال المسلمين من عزلتهم الحضارية وبناء "أمة وسطاً" تكون حقاً وحقيقة شهيدة على الناس ورائدة في ركب الإنسانية^{٢٩}.

الخاتمة

بعد هذا التطواف الشامل، يمكن إيجاز هذا البحث المستفيض بالنقاط الجوهرية والنتائج الآتية:

أولاً: مرجعية القيم القرآنية

إن القيم القرآنية هي المرجع الفاصل والوحيد والشامل القادر على فهم طبيعة العلاقات البشرية ومشكلاتها وتطورها. فهي لم تكتف بوضع نصوص قانونية جامدة ومجردة، بل نفخت "روحاً اجتماعية" نابضة بالحياة تقوم على التعارف الإيجابي والتقوى كبديل جذري وفعال للعزلة الموحشة والعصبية المقيتة.

ثانياً: مركزية علم التفسير

يمثل علم التفسير الركيزة والأصل الذي ترجع إليه كافة القيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ فبواسطته وعن طريقه ننقل من مجرد القراءة التعبدية للنص إلى ساحة "فقه الواقع" وبناء الروابط المتينة وفق المنهج الإلهي الدقيق. ولا يمكن لأي علم يهدف لتنظيم حياة الناس أن يكتب له النجاح والاستدامة إن انفصل عن روح التفسير القرآني ومقاصده.

ثالثاً: التدرج في بناء المجتمع القرآني

اتسمت مراحل بناء المجتمع القرآني بالتدرج الحكيم؛ بدأت بالحفظ الصادق في الصدور، ثم تبلورت في التدوين والاتساع المؤسسي، وذلك لمواجهة أي عزلة قد تنتج عن اختلاف الألسنة أو تباعد الجغرافيا. وقد لعب القرآن وعلومه دوراً محورياً وإعجازياً في دمج الأعاجم وتوحيدهم الكامل تحت راية "اللسان العربي" الشريف و"الهوية الإيمانية" الجامعة.

رابعاً: تكامل علوم القرآن

تتضافر وتتوحد علوم القرآن (من تجويد، وتفسير، وأحكام، وقصص، ومقاصد) لتشكل مجتمعة أقوى شبكة أمان اجتماعي عرفها التاريخ؛ فالتجويد يوحد القلوب والألسنة صوتياً، والأحكام تنظم مساراتها تشريعياً لمنع الظلم، والقصص تهذبها وتصلها عبرةً وتاريخاً ونفسياً.

خامساً: الاستمرارية الحضارية للقرآن

يظل القرآن الكريم معجزة مستمرة لا تتفسي عجائبه، في قدرته الفذة على بناء روابط إنسانية متينة في كل زمان ومكان؛ فهو يمتلك قدرة مؤثرة على تغيير "ما بالأنفس" من جذورها، لينطلق منها بعد ذلك التغيير الاجتماعي والحضاري الشامل الذي ينهي وحشة العزلة ويقدم صرح التراحم الإنساني العظيم.

وأخيراً، إن استعادة وتفعيل هذه القيم القرآنية الأصيلة في واقعنا المعاصر والمأزوم ليست مجرد خيار ثقافي أو ترف أكاديمي، بل هي "ضرورة وجودية" لا غنى عنها لمواجهة "المعيشة الضنك"، وحالات الاكتئاب، والعزلة الخائفة التي أفرزتها الحضارة المادية الجوفاء، وهي السبيل الأوضح للعودة بالبشرية إلى ميادين "الحياة العزيزة السعيدة" التي تفضل ووعدها رب العالمين عباده المخلصين.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: كتب التفسير وعلوم القرآن

١. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (٧٢٨هـ)، مقدمة في أصول التفسير.
٢. ابن جزى الكلبي، محمد بن أحمد (٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل.
٣. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي.
٤. البقاعي، إبراهيم بن عمر (٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.
٥. الحمد، غانم قدوري، أبحاث في علوم القرآن، دار عمار.
٦. الرازي، محمد بن عمر (٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير).
٧. رضا، محمد رشيد (١٣٥٤هـ)، تفسير المنار.
٨. الزرقاني، محمد عبد العظيم (١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
٩. الزركشي، محمد بن بهادر (٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة.
١٠. السيوطي، جلال الدين (٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١١. الشعراوي، محمد متولي (١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
١٢. الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري).
١٣. القرطبي، محمد بن أحمد (٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن.
١٤. قطب، سيد (١٣٨٦هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق.

ثالثاً: كتب الحديث والسيرة والطبقات

١٥. الأندروني، أحمد بن قاسم (١٠٩٩هـ)، طبقات المفسرين، مكتبة العلوم والحكم.
١٦. البخاري، محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح (صحيح البخاري).

١٧. الترمذي، محمد بن عيسى (٢٧٩هـ)، سنن الترمذي.
١٨. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة.
١٩. ابن ماجه، محمد بن يزيد (٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه.
٢٠. ابن هشام، عبد الملك (٢١٨هـ)، السيرة النبوية.
٢١. المباركفوري، صفي الرحمن (٤٢٧هـ)، الرحيق المختوم.
- رابعاً: كتب الفقه، أصول الفقه، والمقاصد
٢٢. ابن عاشور، محمد الطاهر (١٣٩٣هـ)، مقاصد الشريعة الإسلامية.
٢٣. ابن العربي، محمد بن عبد الله (٥٤٣هـ)، أحكام القرآن.
٢٤. الجصاص، أحمد بن علي (٣٧٠هـ)، أحكام القرآن، دار إحياء التراث.
٢٥. الشاطبي، إبراهيم بن موسى (٧٩٠هـ)، الموافقات في أصول الشريعة.
٢٦. الشافعي، محمد بن إدريس (٢٠٤هـ)، أحكام القرآن، جمع الإمام البيهقي.
٢٧. الماوردي، علي بن محمد (٤٥٠هـ)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية.
- خامساً: المعاجم اللغوية ومصطلحات العلوم
٢٨. ابن فارس، أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر.
٢٩. ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر.
٣٠. الجرجاني، علي بن محمد (٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية.
٣١. الرازي، محمد بن أبي بكر (٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، المكتبة العصرية.
٣٢. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن.
٣٣. الزبيدي، محمد بن محمد (١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس.
٣٤. الزمخشري، محمود بن عمر (٥٣٨هـ)، أساس البلاغة.
٣٥. الكفوي، أيوب بن موسى (١٠٩٤هـ)، الكليات، مؤسسة الرسالة.
٣٦. المناوي، عبد الرؤوف (١٠٣١هـ)، التوقيف على مهمات التعاريف، دار الفكر.
- سادساً: كتب التزكية، علم النفس، والدعوة
٣٧. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم (٧٢٨هـ)، أمراض القلوب وشفائها.
٣٨. ابن قدامة المقدسي، عبد الرحمن بن محمد (٦٨٢هـ)، مختصر منهاج القاصدين، مكتبة دار البيان.
٣٩. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان.
٤٠. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.
٤١. الرافعي، مصطفى صادق (١٣٥٦هـ)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي.
٤٢. الغزالي، أبو حامد (٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين.
٤٣. نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، دار الشروق.
- سابعاً: كتب التاريخ والحضارة
٤٤. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر (مقدمة ابن خلدون).
٤٥. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ)، البداية والنهاية.
٤٦. ديورانت، ول (١٩٨١م)، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران.
٤٧. الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك.
٤٨. علي، جواد (١٤٠٧هـ)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام.
- ثامناً: المراجع الفكرية المعاصرة

٤٩. أمين، أحمد (١٣٧٣هـ)، فجر الإسلام.

٥٠. باومان، زيجمونت (٢٠١٧م)، الحداثة السائلة، ترجمة: حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

١. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة (علم).
٢. سورة الزمر: الآية ٩.
٣. استنباطاً من الحديث: "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم"، رواه الترمذي وابن ماجه، حديث ٤٠٣٢.
٤. ابن منظور، لسان العرب مادة (عزل)، ج ١١، ص ٤٤٠.
٥. الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص ١٥٥. وأبو النقاء الكفوي، الكليات مؤسسة الرسالة، ص ٨١٣.
٦. سورة الكهف: الآية ١٦.
٧. ينظر تفصيلها في صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٣.
٨. محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (عزل).
٩. سيد قطب في ظلال القرآن، دار الشروق، ج ٤، ص ٢٢٧٠ (عند تفسير سنن هلاك الأمم).
١٠. سورة الحجرات: الآية ١٣.
١١. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٤٨.
١٢. محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٢٤١ (أحداث حروب الردة).
١٣. أبو الحسن الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ٢٥.
١٤. ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تراجم متفرقة.
١٥. سورة القلم: الآية ١١.
١٦. سورة الحجرات: الآية ١٢.
١٧. سورة الإسراء: الآية ٢٣.
١٨. سورة الرعد: الآية ١١.
١٩. تقي الدين ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص ٣٥. (وينظر: جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن).
٢٠. يطلق عليها العلماء "سورة الآداب" لجمعها مكارم الأخلاق الاجتماعية ومنعها لأسباب العزلة.
٢١. محمد بن إدريس الشافعي، أحكام القرآن، جمع الإمام البيهقي، ج ١، ص ١٨٠.
٢٢. أبو بكر الجصاص، أحكام القرآن، دار إحياء التراث، ج ٢، ص ٤٥.
٢٣. أبو بكر بن العربي المالكي، أحكام القرآن، ج ٣، ص ٤١٢.
٢٤. غانم قدوري الحمد، الميسر في علم التجويد، ص ٢٢.
٢٥. غانم قدوري الحمد، أبحاث في علوم القرآن، دار عمار، ص ١٠٥.
٢٦. سورة آل عمران: الآية ١٤٠.
٢٧. إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ١، ص ١٥. وجمال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٣٥٠.
٢٨. محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج ١، ص ١٢.
٢٩. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ج ١، ص ٢٠.